

المنشورات المغربية منذ ظهور الطباعة إلى سنة 1956م (لطيفة الكندوز)

سارة دادبي

الكتاب الذي سنقدم قراءة له، هو الكتاب الموسوم بـ : المنشورات المغربية منذ ظهور الطباعة إلى سنة 1956م" للأستاذة لطيفة الكندوز، وحتى أضع السادة القراء في الصورة وأضع الكتاب في إطاره التاريخي، أشير إلى أن هذا الكتاب هو عبارة عن القسم الثاني أو القسم التطبيقي من الدراسة المستفيضة التي قامت بها المؤلفة حول " الطباعة والنشر بالمغرب من 1864 إلى 1956م الأبعاد والانعكاسات الاجتماعية والثقافية". وحثتها في – أي في تأليف الجزء الأول- ذلك هو أنه قبل تقديم التراث المطبعي المغربي كان لابد من دراسة الوسيلة التي ساهمت في حفظه وتوثيقه، وسهلت الاطلاع عليه وعرفت به على نطاق واسع ألا وهي آلة الطباعة.

ولذلك سأبدأ بإشارة مقتضبة إلى مضمون القسم الأول المعنون بـ : "الطباعة في المغرب، ظهورها أنواعها أبعادها وانعكاساتها"، قبل أن أنتقل إلى الجزء الثاني.

المطبوع والذي هو موضوع القراءة

أعطت المؤلفة في القسم الأول من دراستها نظرة مقتضبة عن تاريخ الطباعة منذ اختراعها في العالم ثم كيفية دخولها إلى العالم الإسلامي والعربي، ثم تطرقت إلى الظروف العامة التي أحاطت بدخول الطباعة إلى المغرب خلال القرن التاسع عشر مشيرة إلى ظهور مطابع عبرية في المغرب منذ القرن السادس عشر، ثم أسهبت الحديث عن دخول المطبعة إلى المغرب والآثار المترتبة عن استعمالها سواء على مستوى المخزن والعلماء أم على مستوى الطابعين والناشرين، وقدمت خلال ذلك تعريفا لأصحاب المطابع ومشاريعهم والصعوبات التي واجهتهم، ومنها موقف العلماء من التقنية الجديدة للكتابة وردود فعلهم. ثم

انتقلت بعد ذلك المؤلف في كتابها إلى دراسة الطباعة السلوكية وبينت ما عرفه الكتاب المغربي من انتشار واسع مع ظهورها، كما عالجت موضوع الطباعة في الشمال على يد الأسبان والطباعة العبرية في القرن العشرين، ثم قامت بدراسة لأهم المطابع السلوكية التي ظهرت خلال فترة الحماية واستخلصت أهم الفروق بين الطباعتين الحجرية والسلوكية. ثم تعرضت المؤلف من خلال بحثها إلى قضية النشر والتوزيع للكتاب المطبوع وحاولت خلال ذلك أن تعين الجهات التي كانت تحدد طبيعة المعرفة الواجب نشرها في أوساط القراء، ثم حاولت الكشف على طبيعة ومحتوى الإنتاج المطبعي وذلك بتوضيح أصناف المؤلفات التي كانت تعرض على الجمهور بواسطة المطبعة خلال المدة المتراوحة بين 1864 إلى 1956م وقدمت قراءة تحليلية لهذا الإنتاج، ثم ختمت هذا القسم الأول بالحديث عن أبعاد وانعكاسات المطبعة من خلال تطرقها للتحويلات والتغييرات التي ساهمت المطبعة في إحداثها بالمغرب، سواء على الصعيد السياسي أم الثقافي أم الاقتصادي أم الاجتماعي.

أما القسم الثاني من هذه الدراسة فهو القسم التطبيقي للقسم الأول، بمعنى آخر هو قسم خاص بتقديم ثمرات المطبعة خلال المدة المدروسة، وبذلك، فهو عبارة عن تصنيف وفهرسة لكل ما تم نشره من كتب باللغة العربية بواسطة المطبعة التي تم الحديث عنها في القسم الأول، وهذا القسم الثاني هو الذي استفاد من تقنية الطباعة التي تحدثت عنها المؤلفة، فتم طبعه ونشره تحت عنوان "المنشورات المغربية منذ ظهور الطباعة إلى سنة 1956م". وقد صدر هذا الكتاب ضمن منشورات وزارة الثقافة، وصدر عن مطبعة دار المناهل بالرباط في عام 2004م، ويتألف من 612 صفحة من قطع كبير، وهو الكتاب الذي سنحاول تقديم قراءة متواضعة له في الصفحات التالية.

الكتاب الذي بين أيدينا هو عبارة عن ببليوغرافيا للمنشورات المغربية منذ ظهور الطباعة إلى سنة 1956م، وقد تم تبويب هذه الببليوغرافيا وتصنيف الكتب حسب الأقسام الرئيسية للتصنيف العشري الدولي "ديوي" ورتب كل صنف حسب حروف الهجاء، ووضعت لكل أرقام متسلسلة معتمدة على عنوان المطبوع، وأرقت في أحيان كثيرة بالعديد

من المعلومات تتعلق باسم المؤلف وتاريخ وفاته ومصادر ترجمته وذكر تاريخ الطبع ومكانه، وعدد الصفحات والقياس، وذكر ما يمكن ذكره من طبعات أخرى للكتاب، مع الإحالة على أمكنتها والأرقام التي تحملها بالخرانات، وملخص عن موضوع كل كتاب، ثم ألحقت المؤلفات بهذا القسم لائحة بالكتب التي لم تعثر على نسخها، ثم فهرسين أحدهما للكتب والثاني للمؤلفين.

تصنيف الكتب المنشورة حسب طبيعة الموضوعات

من خلال هذه الببليوغرافيا، تمكنت الباحثة من تسجيل 1334 عنوان، هذا العدد هو حصيلة الكتب المنشورة - التي توصلت إليها الباحثة- بين سنتي 1864-1956. فإذا ما ألقينا نظرة عامة عن طبيعة الموضوعات التي جاءت بها هذه المنشورات، سنلاحظ أنها شملت جميع أنواع المعرفة والفنون، ولكن بدرجات متفاوتة، تصدرها الموضوعات ذات الطابع الديني بنسبة 42% من المجموع العام، ثم تليها الموضوعات ذات الطابع الأدبي بنسبة 35%، أما الموضوعات ذات الصلة بالعلوم التجريبية والعقلية فتحتل الدرجة الثالثة بنسبة حوالي 12%، ثم تأتي في آخر القائمة كتب ذات مواضيع متنوعة مثل الإدارة، الاقتصاد، السياسة الخ....

إلا أن الملاحظ أن الترجمة تكاد تنعدم بين المنشورات، اللهم نسبة قليلة جدا تكاد لا تذكر وهي 0,05 % في أحسن الأحوال.

إذن هذه كانت نسبة التباين بين أصناف المؤلفات المنشورة في المغرب منذ سنة 1865 إلى سنة 1956.

أسباب التباين في عدد المنشورات

ترجع أسباب هذا التباين في عدد المنشورات، إلى أن المطبعة في مراحلها الأولى قد وظفت من طرف المخزن لأغراض تعليمية أي من أجل نشر الكتب المدرسي المقرر من طرف القرويين، علما بأن هذه الدراسة نفسها كانت تتم باختيار المخزن وتحت إشرافه.

لقد كان التدخل المخزني في الشؤون التعليمية منذ عهد السلطان محمد بن عبد الله

الذي أصدر مرسوما يحدد فيه نظام التدريس في كلية القرويين وببائقي المساجد والزوايا، مع بيان ما يدرس منها من العلوم والكتب، مقتصرًا على دراسة العلوم النقلية، محذرا في الوقت ذاته من الخوض في علم الكلام أو المنطق أو الفلسفة، وكتب غلاة الصوفية وكتب القصص، مع اللجوء إلى التهديد بإنزال العقوبة على كل من يتعاطى تدريس هذه العلوم¹.

وظهر التوجه المخزني مرة أخرى مع الظهير الذي أصدره المولى عبد الرحمان سنة 1261هـ/ 1845م، الذي أعاد فيه النظر في نظام التدريس وألح على اقتصار المدرسين على المفيد، والاعتماد على الواضح.

إذن، إذا علمنا أن العلوم التي كانت سائدة في تلك الفترة بكل أنحاء المغرب، والتي سنتها القوانين التنظيمية للتعليم هي العلوم ذات الطابع الديني، نستطيع أن نفسر طبيعة المنشورات خصوصا في المراحل الأولى لحياة النشر في المغرب، ونفهم الهدف الأساسي الكامن وراء استقرار المطبعة بفاس قرب القرويين.

I - العلوم الدينية

كان المغاربة يعتبرون الدين هو العلم الحقيقي الذي يعلو كل العلوم، وما عدا ذلك، فالأولى أن يسمى صناعة، على رأي عبد الله كنون²، وهذا ما يفسر غلبة العلوم الدينية على البرامج التعليمية، كما يوضح أسباب اهتمام القائمين بنشر هذه الكمية المهمة من الكتب الدينية باعتبارها قابلة للتسويق أكثر من غيرها.

- الكتب الدينية: تتناول في غالبيتها الفقه والتصوف والحديث، وفي هذا المقام نشير إلى أن كتب الفقه قد احتلت المقام الأول بصفته "أجل علم" وبصفته "نظام عام للمجتمع البشري لا إسلامي فقط"³ على رأي الحجوي، إضافة إلى كونه مصدرا للعيش والارتزاق.

1- احتلت المنشورات الفقهية الدرجة الأولى في المجموع العام ب 300 عنوان. وإذا نظرنا إلى الكتب الفقهية، نجد معظمها عبارة عن كتب شروح أو تلخيص أو حواش، تدور

¹ ابن زيدان، الإتحاف، 3/ 211-214.

² كنون، تقييد يتعلق بالفتوى والشهادة وما يتعلق بأمر القضاء، طبعة حجرية، فاس، 1906، ص. 3.

³ الحجوي، الفكر السامي، الرباط، 1921، 1/ 7-11.

حول مختصر خليل وتحفة ابن عاصم والمرشد المعين لابن عاشر، بالإضافة إلى كتاب القوانين الفقهية لابن جزي.

كذلك من خلال المنشورات المفهرسة في الكتاب نلاحظ حضور منشورات عديدة تعنى بالنوازل الفقهية المتعلقة بالمجال السياسي، وهذا يدلنا على مدى اهتمام الرأي العام بوضعية المغرب في الفترة المدروسة.

بالإضافة إلى كتب الفتاوى المتعلقة بالناحية الدينية والسياسية والاجتماعية، نجد كتب فتاوى أو نوازل متعلقة بالناحية الثقافية أو الحضارية، وكمثال على ذلك، كتاب "كناش الحايك"⁴ الذي ضمّ في مقدمته مجموعة من الفتاوى حول الموسيقى وموقف العلماء المغاربة المتشدد منها.

علاوة عن الموسيقى تضمنت المنشورات نصوص بعض الفتاوى التي تعالج بعض القضايا الاجتماعية التي كان لها آنذاك صدى بالأوساط المغربية، وأثارت جدلا كبيرا بين العلماء مثل مسألة استعمال السكر، والشاي واللبن والصابون وشمع البوجي وثوب الملف، باعتبارها مواد مستوردة من أرض الكفار، واختلف العلماء في حلية كل ذلك أو تحريمه.

2 - التصوف: من خلال الكتاب نلاحظ أن عدد الكتب التي نشرت بين سنتي

1865هـ/ 1956م في علم التصوف: حوالي 120 عنوانا، وبذلك احتل هذا العلم المرتبة الثانية ضمن مواضيع الكتب الدينية المفهرسة في الكتاب.

3- الحديث : احتل علم الحديث الدرجة الثالثة في نسبة المطبوعات بحوالي 70

عنوانا، أخذ حصة الأسد منها كتاب الجامع الصحيح للإمام البخاري الذي تعددت نسخه.

II- العلوم ذات الصبغة الأدبية

احتلت هذه العلوم المرتبة الثانية بعد العلوم الدينية من حيث المجموع العام للمنشورات، وتدخل ضمنها علوم اللغة من نحو وبلاغة وتصريف، وعلم الأدب والشعر، وعلوم التراجم والفهرسة والأنساب، وكذا علما التاريخ والرحلات .

⁴ - نشر بإشراف معهد مولاي الحسن بتطوان سنة 1953.

1- علوم اللغة : كانت لعلوم اللغة مكانة هامة لدى معظم علماء المسلمين حيث

اعتبروها من العلوم الشرعية لكونها لغة القرآن والحديث.

ويحتل علم النحو المكانة الأولى ضمن هذه العلوم، وفي هذا المجال نجد في الكتاب العديد من العناوين التي تدور في مجملها حول كتابين من أشهر ما ألف في علم النحو هما: الأجرومية والألفية اللذين يعتبران من أبرز النماذج الموظفة لمساندة كتب الشريعة، أما علم الصرف فرغم أهميته فمطبوعاته لا تتعدى الأربعة، من بينها منظومة في اصطلاح القاموس لمحمد الكردودي.

العلم الثالث في باب اللغة هو علم البلاغة، حظي هو كذلك وبعض العلوم المنضوية تحت لوانه مثل علم البيان، وعلم المعاني، وعلم البديع ببعض العناوين في الكتاب .

في باب اللغة كذلك، ظهرت في الكتاب عناوين بعض المعاجم اللغوية، وكذا عناوين بعض الكتب الخاصة بتعليم اللغة الأجنبية للمبتدئين، وربما كان السبب الداعي إلى مثل هذه المنشورات هو الظروف الجديدة التي نتجت عن دخول الاستعمار الفرنسي والإسباني إلى المغرب ، ومن بينها كتاب "المستدركات السنية في تعلم الفرنسية" لأحمد الهواري".

2- الأدب : ويضم الشعر والدراسات الأدبية والقصة المسرحية والمقالة وغيرها، ونشير إلى أن المنشورات الأدبية لم تظهر بوضوح إلا مع بداية العقد الثالث من القرن العشرين، حيث نشرت كتب أدبية متنوعة في الشعر الحديث بجميع فنونه، والقصة والمقالة والمسرحية. ونشير في ميدان الشعر إلى أن غالب المنشورات كانت من القصائد ذات الصبغة الدينية، منها قصيدتا البردة والهمزية للإمام البصري.

وابتداء من الفترة المذكورة نلاحظ تغييرا في طبيعة إنتاج الكتاب، فلم يعد مقتصرا على الأدبيات الدينية التقليدية، بل أصبح يضم بين منشوراته أدبيات إبداعية وكذا دراسات متعلقة بتاريخ الأدب، مثل تاريخ الشعر والشعراء بفاس لأحمد النميشي (المنشور سنة 1925/1343 بمطبعة أندري، بفاس)، كما أشير إلى أن أول ديوان للشعر الحديث نشر

بالمغرب كان سنة 1936/1355 ، وهو ديوان "أحلام الفجر" للشاعر عبد القادر حسن. وفي ما يخص منشورات أدب القصة، نلاحظ أن معظمها عبارة عن مجموعات قصصية صغيرة، مستوحاة من الواقع المغربي، مثل قصة القاضي مع السارق لمؤلف مجهول.

3- التراجم والفهرسة: من بين منشورات الكتاب هناك سبعون عنوانا في التراجم، وهذا يدل على أهمية هذا العلم ومدى العناية التي وجهها العلماء المغاربة للتعريف بالسلف الصالح من الرجال والنساء، ومن بين منشورات كتب التراجم نذكر: درة الحجال لأحمد ابن القاضي، ونشر المثاني⁵ لمحمد القادري، وغيرهم...

4 - الرحلات: عدد المنشورات المفهرسة في الكتاب في موضوع أدب الرحلة 13 عنوانا، تنقسم بين أربعة أنواع من الرحلة: الحجازية والسفارية (نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد) والسياسية والسياحية، وفي هذا الموضوع نلاحظ من حيث الكم، قلة المنشورات، ومن حيث المضمون، نشير إلى أن الرحلة الحجازية قد أخذت حصة الأسد من بين كتب الرحلات المنشورة، ومن أشهرها الرحلة العياشية لعبد الله العياشي.

5- التاريخ : نشير هنا إلى أن علم التاريخ لم يكن يشتغل به إلا كعلم مساعد للفقهاء والحديث ورواته، و كان يعتبر من الاهتمامات الدنيوية، والاشتغال به من باب اللهو⁶. بحيث إذا رجعنا إلى مقررات مواد التدريس سواء في القرويين أو في باقي المدارس، لا نجد لعلم التاريخ مكانة في جل العصور، لذلك فإن نسبة كبيرة من كتب التاريخ لم تنشر إلا مع ثلاثينيات القرن العشرين، وقد بلغ عددها ثمانون، سبعة منها مطبوعة على الحجر .

III- العلوم التجريبية والعقلية

تحتل العلوم التجريبية والعقلية المرتبة الثالثة من حيث عدد منشوراتها التي لا تتجاوز السبعين عنوانا، ويرجع هذا النقص إلى كون هذه العلوم كانت مهمشة آنذاك، وغير مرغوب

⁵- طبع على الحجر بفاس بمطبعة العربي الأزرق، سنة 1892/1310 في جزأين، وحقق أخيرا من طرف محمد حجي وأحمد التوفيق، ونشر ما بين سنتي 1982-1986م.

⁶- ليفي بروفنسال، مؤرخو الشرفاء، ص. 38.

في تعاطيها من طرف العلماء، حتى إن بعضها كان يدخل ضمن العلوم التي حرم السلطان سيدي محمد بن عبد الله تدريسها بالمغرب (المنطق وعلم التنجيم والفلسفة)، لهذا لم تحظ باهتمام القانمين على النشر لصعوبة تسويق مطبوعاتها، عدا ما كان منها له صلة بالعلوم الشرعية كعلمي الفلك والحساب. ونسجل في علم الفلك ثلاثين عنوانا وسبب ذلك أنه كان يستغل لغايات دينية كتوجيه المساجد وحساب سير الشمس والقمر وضبط أوقات الصلاة. ويدور جل منشورات علم الفلك حول رسالة المارديني إما شرحا أو حواش (الرسالة الفتحية في الأعمال الجيبية).

أما علم الحساب فأهم منشوراته بغية الطلاب في شرح منية الحساب لابن غازي، وأما الهندسة فنذكر منها كتاب " تحرير أصول الهندسة لأقليدس " لناصر الدين خوجة. - الطب والصيدلة: يحظى هذا العلم من بين عناوين الكتاب باثني عشر عنوانا، ويرتبط نقص منشوراته أساسا بكون دراسته قد اضمحلت في المغرب منذ بداية القرن 19م، فقل الاهتمام به والتأليف فيه، وأهم الكتب المنشورة منه " الكليات في الطب " لابن رشد، وكتاب " الرحمة في الطب والحكمة " لجلال الدين السيوطي.

- المنطق: هذا العلم لقي نفورا ومعارضة شديدة من طرف علماء المسلمين، فبالغوا في إنكاره وحظروا تعلمه وتعليمه، إلى أن أقبل عليه بعض العلماء كالغزالي وابن الخطيب، فتسامحوا بعض الشيء في تعليمه.

IV- الترجمة

كان حظها من بين المنشورات سبعة عناوين، أربعة منها في ميدان القصة، وواحد في التراجم، ومؤلفين في التاريخ. ومن خلال المنشورات المترجمة، نستنتج أنها لم تأت في مواضيعها بجديد، فهي لم تشتمل على مواضيع علمية أو تقنية، ولا تحمل أفكارا إصلاحية. بالإضافة إلى الأربعة أصناف السالفة الذكر، نجد في قائمة الببليوغرافيا مجموعة أخرى من المطبوعات تخص ميدان التقنيات والإدارة والتعليم والسياسة والقانون والفنون الجميلة.

- في ميدان التقنيات هناك كتاب الفلاحة لابن بصال الطليطلي نشر معهد مولاي الحسن بتطوان 1955م، وكتاب التجارة العصرية لعبد الحق بن وطاف.

- وفي مجال الإدارة توجد ثمانية عناوين منها كتاب التراتيب الإدارية لعبد الحي الكتاني.

- وفي مجال السياسة هناك عشر منشورات بعضها تطرق لمجال السياسة الفرنسية بالمغرب منها كتاب "سمط اللآلي في سياسة المشير ليوطي نحو الأهالي" لعلي الطرابلسي. (كان حينها رئيس جريدة السعادة بالرباط الموالية لحكومة الحماية الفرنسية).

وهناك المنشورات ذات الصبغة القانونية همت القانون المغربي والقانون الفرنسي بالمغرب والقانون الإسرائيلي المغربي، منها كتاب "نظام المحاكم الفرنسية بالأقاليم المغربية" لمحمد الصالح أميسة.

من خلال تصفح الكتاب نجد كذلك خمسين عنوانا همّ مجال التربية والتعليم، معظمها مناهج تعليمية وتصاميم حكومية في مجال التعليم، منها كتاب "التعليم الحديث بالمغرب" الصادر عن إدارة التعليم العمومي.

فيما يخص ميدان الفنون الجميلة: هناك نوعين: أحدهما يتعلق بفن الآثار المعمارية، بينما يدرس الثاني مجال الموسيقى.

فن الآثار المعمارية منها أربعة عناوين، اثنان منها خاص بنتائج الحفريات في شمال المغرب، واثنان خاصة بوصف المتاحف.

أما مجال الموسيقى فقد بلغ عدد مطبوعاته عشرة عناوين، بعضها عبارة عن دراسات في الموسيقى الأندلسية وفن الملحون، والبعض الآخر تناول تاريخ الموسيقى عموما والمغربية على الخصوص.⁷

⁷ - كناش الحايك، نشر بإشراف معهد مولاي الحسن بتطوان سنة 1953، وضم في مقدمته مجموعة الفتاوى حول الموسيقى.

استنتاجات

تناولت المنشورات المغربية منذ ظهور الطباعة إلى سنة 1956م - بنسب مختلفة- جل الموضوعات، حيث جمعت بين الثقافة التقليدية ومعطيات العلوم الحديثة: حظيت العلوم الدينية بكل أصنافها بالدرجة الأولى في التصنيف بما يقترب من النصف من المجموع العام، ويؤكد هذا على أن الثقافة المغربية كانت تركز على الطابع الديني الذي طبع كل أشكال التفكير المغربي.

بالنظر إلى المواضيع التقليدية المتعلقة بالفقه والحديث والنحو، يتبين عدم حصول أي تغيير في المواضيع المتداولة، بحيث بقي النشر قائما على ظاهرة اتباع الأصول وتكرار آراء السابقين.

يلاحظ على المنشورات الصادرة في الأدب والتاريخ والعلوم التجريبية والعقلية أنها لا تتضمن من أمهات الكتب سوى النزر القليل، فلا نجد من كتب الأدب سوى المحاضرات لليوسي، ولا من كتب التاريخ سوى الأنيس المطرب ونزهة الحادي وبعض كتب التراجم، وتكاد تكون منعدمة في ميدان العلوم، باستثناء كتاب تحرير أصول الهندسة لإقليدس وبعض كتب الفلك لابن البناء والقلصادي.

من الناحية الزمنية، يلاحظ تغير أنماط واتجاهات النشر قبل الحماية وأثناءها. فالمنشورات الصادرة قبل سنة 1912 اهتمت بنشر كتب التراث لمؤلفين مغاربة وأندلسيين وبعض المشاركة، في مواضيع تتصل بعلوم الدين واللغة. أما بعد سنة 1912 أي خلال فترة الحماية، فقد حصلت بعض التحولات في ميدان النشر، حيث تشعب النشر وتنوعت مواضيعه ليشمل مختلف فنون المعرفة، فظهر كتاب التاريخ والشعر والفن إلى جانب الكتاب الديني وإن قلت أعداده، نظرا للمضايقات السرية والعلنية التي تعرض لها الناشرون من طرف سلطات الحماية.

يلاحظ على المطبوعات الحجرية أنها اقتصررت في مراحلها الأولى على نشر المتون والشروح والحواشي فقط، لكن ابتداء من أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين

بدأت الكتب التحليلية، ثم سرعان ما أدخلت ضمن منشوراتها أدبيات في السياسة والإصلاح.

أهمية الكتاب

ترجع أهمية الكتاب - كما ذكرت مؤلفته - إلى أنه عبارة عن "رحلة استعراضية استكشافية للكتاب المغربي، حاولت من خلالها أن أنزل الكتاب المغربي المطبوع من رفوف المكتبات ، بهدف رسم خريطة للإنتاج المطبعي، في سبيل تيسيره للباحثين، ليطلعوا على مضمونه، ويتعرفوا على مخبئه"، وفعلًا فإنه بعملها هذا قد وفرت على الباحثين جهدًا كبيرًا ووقتًا طويلاً، ويسرت سبل الحصول على الكتاب الذي يهم بحثهم مع جميع المعلومات الضرورية حوله في أقل وقت ممكن.

حقيقة أنه سبقت دراسات هامة حول موضوع البيبليوغرافيا، من بينها الفهرس الذي وضعه ليفي بروفنسال ومحمد بن شنب⁸، وكتاب بلماحي الإدريسي "معجم المطبوعات المغربية" الذي ضمنه قائمة للمطبوعات المغربية بنوعها الحجري والسلكي، الصادرة ما بين 1865 و 1970، والتي وصل عددها بالنسبة للفترة التي حددتها المؤلفة في دراستها إلى 1002 من العناوين، ورغم أهميتها فهي ناقصة من حيث العدد، وتتضمن بعض الأخطاء في عناوين بعض المؤلفات وسنوات الطبع ، غير أن الدراسة التي قام بها الأستاذ فوزي عبد الرزاق تعتبر أهم فهرسة منشورة للمطبوعات الحجرية الفاسية، ضمنها معلومات مفيدة عن طبعات الكتب والناشرين والمصححين والطابعين، بالإضافة إلى أنه كان له فضل سبق إلى الكتابة في هذا التاريخ الوثيقي للثقافة المغربية، لكن هذه الدراسة بدورها ناقصة، حيث لا يتعدى أعدادها 463 عنوانًا، بينما يضم كتاب المنشورات المغربية 630 عنوانًا من المطبوعات الحجرية، في حين يصل العدد الإجمالي للكتب المنشورة بالمطبعة الحجرية والسلكية 1343 عنوانًا.

كما أن كتاب المنشورات المغربية جاء مرتبًا حسب الموضوعات ومصنفًا حسب التصنيف العشري لديوي، بيد أن كتاب الأستاذ عبد الرزاق جاء خليطًا من كل أصناف

⁸ - Ben Cheneb et Lévi-Provinçal, *Essai de répertoire chronologique des éditions de Fès*, Alger, 1922.

العلوم، جذوة الاقتباس مع الأجرومية مع جواب الشيخ ماء العينين مع جمع الجوامع تليهم الجزرية في التوحيد وهكذا..، كما أن كتاب المنشورات المغربية، حدد لجميع المؤلفين سنة الوفاة دون إهمال للمصادر التي ترجمت لهم، بينما كتاب المطبوعات جاءت أسماء المؤلفين خالية من سنة الوفاة وعلى القارئ أن يرجع إلى فهرس المؤلفين والطابعين لكي يعرف منه سنة وفاة المؤلف، كتاب المنشورات المغربية أعطى فكرة عن موضوعات الكتب المصنفة وأماكن وجودها ورقمها في مختلف الخزائن المغربية والأجنبية، بينما كتاب المطبوعات الحجرية وقف عند عنوان الكتاب في غالب الأحيان بل يحيلك في مرات قليلة على المصادر التي ذكر في متنها اسم الكتاب، هذا إلى غير ذلك من الإضافات المهمة والهامة التي جاء بها كتاب المنشورات المغربية والتي سهلت على الباحث مشاق البحث في جذاذات الخزائن ووفرت له جميع المعلومات التي هو في حاجة إليها في أقل وقت ممكن.

إذن من خلال الملاحظات المسطرة أعلاه، نؤكد على أن هذا الكتاب الذي بين أيدينا ، كان ظهوره ضروريا لتصحيح كثير من أخطاء الدراسات السابقة، وتكميل بعض معلوماتها، وإضافة ما بقي ناقصا فيها، وبذلك فهي تعتبر أوفى دراسة ببليوغرافيا قدمت لحد الآن في موضوعها تستحق عليه الباحثة كل التنويه.⁹

ملاحظات حول الكتاب

إن العمل في هذا الحقل من التأليف يظل دائما معرضا للنقص ومفتقرا إلى الإحاطة الكاملة، خصوصا إذا كان المؤلف فردا وليس جماعة، وبما أن كل دراسة لابد أن تشوبها هفوات وسقطات، فإن كتاب المنشورات المغربية لم يكن في ذلك استثناء ، خاصة نظرا لشموله واتساع المدى الزمني الذي يغطيه، فكان لابد - وهذا أمر طبيعي - أن تشوبه سقطات في بعض الجوانب وأن تكون هناك إضافات، ألخصها في ما يلي¹⁰ :

⁹ - أشير هنا إلى أن مؤسسة الملك عبد العزيز بالبيضاء قد أصدرت سنة 2004م كتابا بعنوان: فهرس المطبوعات الحجرية المغربية.

¹⁰ - في هذا الموضوع أشير إلى أنه صدر للأستاذ الإدريسي عبد القادر مقالا يوم 23 مارس 2005م بجريدة العلم العدد 20024 حول كتاب المنشورات المغربية، وبعد أن أثنى على الكتاب وكتابته، قام بتتبع الهفوات التي شابت الكتاب (أخطاء في عدد أجزاء بعض الكتب، أو عدم ذكر تعدد طبعات الكتاب، أو أخطاء في التعريف بصاحب الكتاب أو ذكر بعض المؤلفات لكاتب ما وإغفال أخرى الخ..). كما أعطى ملاحظات هامة جدا وبناءة حول مضمون الكتاب، ولذلك سوف لن أعيد ما ذكره الأستاذ في مقاله.

- عنوان الكتاب "المنشورات المغربية منذ ظهور الطباعة إلى سنة 1956" يبدو لي أنه لا يتطابق تماما مع مضمون الكتاب، لأن المضمون هو المنشورات العربية المغربية، بل ليس كل المنشورات إنما الكتب فقط، وبذلك فالأصح أن يكون عنوان الكتاب - حسب رأيي المتواضع- هو "الكتب العربية المنشورة في المغرب منذ ظهور الطباعة إلى سنة 1956م" وبذلك فمضمون الكتاب هو جزء من العنوان وليس كل العنوان.

أما إذا كانت المنشورات المغربية، فهناك عدد من الكتب المغربية نشرت في بلدان أخرى، مثل مجموعة الكتب التي أصدرها علال الفاسي في القاهرة قبل الاستقلال، كذلك مجموع المؤلفات التي أصدرها السلطان مولاي عبد الحفيظ في القاهرة في القرن التاسع عشر، كذلك هناك كتاب أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، البيذق، باريز، 1928م. وكتاب روضة النسرين في دولة بني مرين لابن الأحمر، تحقيق جورج مارسي وب. كوتسي، باريز 1917م، وغيرهم كثير.

بالإضافة إلى بعض الكتب الأمازيغية نشرت بالحرف العربي بالمغرب في الفترة المدروسة، وكذا بعض الكتب بالعبرية.

إضافة إلى العنوان، فقد اكتفت الباحثة بوضع ملخص لموضوع الكتاب، وحبذا لو وضعت لكل كتاب الواصفات الخاصة به ثم أضافت في الأخير فهرسا لأسماء الأعلام وآخر للأماكن الجغرافية حتى يتمكن الباحث بواسطتهما من الاهتداء بسرعة إلى جميع الكتب التي بها إشارات تهم موضوعه.

من جهة أخرى، حقيقة أن الباحثة بدلت جهودا جبارة في جمع عناوين الكتب المنشورة في المغرب خلال الفترة التي حددتها، ومع ذلك فقد غاب عنها بعض المنشورات ولم تذكرها في كتابها، ومن بينها:

* "تاريخ أيام السلطان المريني أبي سعيد" للتاورتي إبراهيم بن أحمد، طبع بفاس مطبعة حجرية د.ت.

* "محاضرة الأكياس بملخص تاريخ مكناس" لعبد الرحمن بن زيدان، الرباط، معهد

الدروس العليا، 1925.

* "شورا الطوية في مذهب الصوفية" لأبي حامد العربي بن أحمد الدرقاوي،

المطبعة الحجرية، فاس، 1334هـ.

* "المغرب المبين عما تضمنه الأنيس المطرب وروضة الشريف المكناسي

محمد بن إدريس العلوي" لمحمد الفاسي، فاس، المطبعة الحجرية، 1334.

* كتاب مفاخر البربر، نشر ليفي بروفنصال، الرباط، 1934.

* المدن الأثرية بالمغرب، محمد المكناسي، تطوان، 1952.

بالإضافة إلى كتاب باللغة العبرية، عنوانه :

بوريم وهران "ميكاموفا" تأليف : مسعود دارمون، تقديم: الربّي داوود

الأشكنازي، طبع بوجدة سنة 1951.

خلاصة

أخيرا أخلص إلى أن كتاب : المنشورات المغربية منذ ظهور الطباعة إلى سنة

1956 للأستاذة لطيفة الكندوز، يعتبر أوفى وأدق دراسة ببليوغرافية صدرت في المغرب

لحد الآن، ويظهر ذلك من خلال الجهود الجبارة التي بذلتها المؤلفة سواء على المستوى

المنهجي أو على المستوى الكمّي، حتى جاء الكتاب أقرب ما يكون إلى الصواب، وقد وفرت

المؤلفة بهذا الكتاب أداة هامة من الأدوات الضرورية للبحث العلمي، وأضافت لبنة صلبة إلى

ما هو موجود من دراسات.

مارية دادبي

كلية الآداب، وجدة